جامعة تكريت

كلية التربية للعلوم الإنسانية

قسم علوم القرآن والتربية الإسلامية

الدراسات العليا / الدكتوراه / أصول الدين

المادة : العقيدة

المرحلة : الدكتوراه / أصول الدين

اسم التدريسي: أ.د. سعد فتح الله عمر حسين

المحاضرة الخامسة: آيات الإخلاص

بعدما ابان الله تعالى ، من ادلة وجوده ووحدانيته للعباد، واخبر عن ظلم المشركين لانفسهم بعبادتهم الاوثان التي لا نفع فيها ولا ضر، بلا دليل ولا حجة في اتخاذهم لها، فقط بمجرد التقليد والتشهي ، وتركهم رسول الله ﷺ بعد ان جاءهم يبشرهم بالخير من عند الله تعالى .ثم وجه الله تعالى رسوله محمد ﷺ بان يتوكل على الله الحي الذي لا يموت ،وتنزيه عن كل صفات النقص،ويصفه بجميع صفات الكمال، والسجود، ولا يكون الا للرحمن الذي خلق الكواكب السيارة وجعل لها منازل،فقال الله تعالى موضحا ذلك :-

(وتوكل على الحي الذي لا يموت وسبح بحمده وكفى به بذنوب عباده خبيرا* الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام ثم استوى على العرش الرحمن فسئل به خبيرا* واذ قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن أنسجد لما تأمرنا وزادهم نفورا* تبارك الذي جعل في السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا).[١]

اولا:-التوكل على الله تعالى

في قوله تعالى (وتوكل على الحي الذي لا يموت)

التوكل: هو اظهار العجز واعتماد العباد على الله تعالى في كل الامور[٢]، لقوله تعالى (ربنا عليك توكلنا واليك انبنا واليك المصير).[٣]

قال عتبة بن ابي ثبيت (مكتوب في التوراة لا تتوكل على ابن ادم فان ابن ادم ليس له قوام ولكن توكل على الحي الذي لا يموت).[٤]

ونرى العباد في احوال شتى يتوكل على سلطان او على نفسه او على ماله وهذا ما يحدث في وقتنا الحاضر ومع الاسف، فنرى باعيننا المجردة فلان يعتمد على فلاناو على

---

[١] الفرقان: الايات٥٨-٦٠.

[٢] ينظر: القاموس المحيط-لمجد الدين محمد بن يعقوب-الفيروز آبادي٤/٦٧-ط٢-مطبعة مصطفى البابي الحلبي-مصر ،١٩٨١م.

[٣] الممتحنة: الاية ٤.

[٤] الدر المنثور في التفسير بالمأثور -لجلال الدين السيوطي ٦/٢٦٨.

حاله وهذا لا يصح لانه لا يتصف بالبقاء، لانه النفس تموت والمال يفنى اذ يكون عاجز وضعيف فالمتوكل عليه يكون ضعيف، لانه اذا مات او فنى ضاع من توكل عليه.[٥]

فعلى هذا يتضح لنا انه لا يصح الا التوكل على الله الحي الذي لا يموت ،واعتماد القلب على الله تعالى في كل الامور، لقوله تعالى (الحي الذي لا يموت) فهذه صفة من صفات الباري عز وجل وهي عدم الموت لانه الخالق العظيم ليس من جنس الموتى، وهو المتصف بالحياة السرمدية، فالمتوكل على الله الحي الذي لا يموت لا ينقطع توكل من توكل عليه[٦]،لقوله تعالى (ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام).[٧]

وفي هذه الاية الكريمة نرى–وصف الله تعالى لذاته بصفة لا تليق الا به سبحانه وتعالى (وتوكل على الحي الذي لا يموت) الاية، وخطاب موجه الى النبي محمد ﷺ اذ لا يصح التوكل الا على الحي الذي لا يموت....

ثانيا: تنزيه الباري عز وجل

في قوله تعالى (وسبح بحمده)

التسبيح :هو تنزيه الباري عز وجل عن جميع صفات النقصان.[٨]

وقيل معنى سبح: أي صل لله تعالى الشكر على نعمه،والصلاة تسمى تسبيحا.[٩]

وفي هذه الاية الكريمة امر موجه من الباري عز وجل الى نبيه الحبيب محمد ﷺ بتسبيحه وتنزيهه وتمجيده.[١٠]

وقيل (سبح بحمده)، أي" نزهه عن صفات النقصان بصفات الكمال،قائلا:سبحان الله والحمد لله".[١١]

---

[٥] (ينظر: احكام القرآن –لمحمد بن ادريس الشافعي ابو عبد الله ١٨٠/٢–دار الكتب العلمية –بيروت–١٤٠٠هـ ،تحقيق: عبد الغني عبد الخالق، والتحرير والتنوير لابن عاشور ،٥٩/١٩ ،وكتب ورسائل وفتاوي ابن تيمية في العقيدة –لابن تيمية ٣٢٢/١٣،وروح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني لشهاب الدين الالوسي ٣٧/١٩

[٦] (ينظر: الجامع لاحكام القرآن–لمحمد القرطبي ٦٢/١٣،ونظم الدر في تناسب الايات والسور –للامام برهان الدين ابي الحسين ابراهيم بن عمر البقاعي٤١٣/١٣–ط١–مطبعة مجلس المعارف العثمانية–حيدر آباد–الهند–١٩٧٨م.

[٧] (الرحمن،الاية: ٢٧.

[٨] (ينظر: البحر المحيط–لابن حيان الاندلسي،٥٠٨/٦.

[٩] (ينظر: تفسير فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير–لمحمد الشوكاني ٨٤/٤.

[١٠] (ينظر:البحر المحيط–لابي حيان الاندلسي٥٠٨/٦.

[١١] (التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج–للدكتور.وهبة الزحيلي٩٩/١٩.

وقد ورد للرسول محمد ﷺ احاديث في فضل التسبيح والتحميد لله تعالى ،منها:

عن ابي صالح عن ابي هريرة (رض) ان رسول الله ﷺ قال: (ثم من قال سبحان الله وبحمده في يوم مائة مرة حطت خطاياه وان كانت مثل زبد البحر).[١٢]

فهذا كله دليل على تنزيه الخالق العظيم من جميع صفات النقص ،التي يصفها الكفار والمشركون، والتسبيح والثناء والحمد لله رب العالمين.[١٣]

ثالثا:-الله تعالى عالم بجميع المعلومات

في قوله تعالى (وكفى به بذنوب عباده خبيرا)

والمعنى :أي حسبك ،ان الله تعالى مطلع على جميع اعمال العباد ،ولا يخفى عليه شيء منها،وهذه الكلمة يراد بها المبالغة ،كقولهم (وكفى بالله ربا) و (كفى بالعلم جمالا)[١٤] .

فالله سبحانه وتعالى بقدرته وعلمه خبير بذنوب عباده ومعاصيهم الظاهرة والخفية ،ومجازيهم عليها.

والذنوب :هي الاسباب المهلكة للعباد.[١٥]

والخبير :-أي المطلع على جميع الامور،بحيث لا يخفى عليه منها شيء.[١٦]

فالله سبحانه وتعالى هو العالم "علما تاما بمعاصي عباده،لا تخفى عليه خافية،يعلم ما ظهر وما بطن،وهو محصيها عليهم،ومجازيهم عليها،ان خيرا محير،وان شرا فشر،قال تعالى (لهو الاول والاخر والظاهر والبطن وهو بكل شيء عليم).[١٧] [١٨] ففي هذا سلوة لرسوله،ووعيد للكفار ان لم يؤمنوا على كفرهم ومعاصيهم..

رابعا:-قدرة الله تعالى على جميع الممكنات

في قوله تعالى (الذي خلق السموات والارض وما بينهما)

---

[١٢] (صحيح البخاري-باب فضل التسبيح:٥/٢٣٥٢.

[١٣] (ينظر: الجامع لاحكام القرآن-لمحمد القرطبي١٣/٦٢،وروح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني٠لشهاب الدين الالوسي١٩/٣٧.

[١٤] (ينظر:جامع البيان عن تأويل آي القرآن-للطبري ١٩/٢٨،والتفسير الوسيط لقرآن الكريم-للدكتور –محمد الطنطاوي،ص١٨٠٩.

[١٥] (ينظر:روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني-لشهاب الدين الالوسي١٥/٤٥.

[١٦] (ينظر: التحرير والتنوير-لابن عاشور ١٩/٦٠.

[١٧] (الحديد:الاية ٣.

[١٨] (التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج-للدكتور .وهبة الزحيلي١٩/١٠٣.

في هذه الاية الكريمة وصف الخالق العظيم في خلقه وقدرته،وهذه الاية متعلقة بالاية التي سبقتها (الحي الذي لا يموت)،أي توكل على الحي الذي لا يموت وهو الخالق العظيم خالق السموات السبع والارضين وخالق كل شيء فيها،وهو بقدرته وعظمته مالكها وسلطانها.[١٩]

و (السموات) جمع سماء،وجاء بصيغة الجمع لانه الخالق العظيم خلق بقدرته سبع سموات،كما في قوله تعالى (الله الذي خلق سبع سموات).[٢٠]،والارض جاءت مفردة،مع العلم ان الله تعالى خلق سبع ارضين،كما في قوله تعالى (الله الذي خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن)،[٢١]والحكمة الربانية لرحمة العباد في ذكر الارض بصيغة المفرد في الاية الكريمة لان العباد في طبيعتهم لا يرون الا الارض التي يعيشون فيها،فاذا جاءت بمعنى الجمع لاخذ العباد الدهشة،وتعارض ما يشاهدونه مع ما يذكر في القرآن الكريم،ولكن الحكمة الربانية رحيمة بالعباد فجاءت هنا بمعنى الفرد تناسب عقول العباد[٢٢]،فسبحان الله تعالى الخبير بامور عباده ما ظهر منها وما بطن..

وفي قوله تعالى (السموات والارض وما بينهما) جاءت الصيغة القرآنية (وما بينهما) وليس (وما بينهن) لان الله تعالى اراد الشيئيين والصنفين والنوعين،كقول القائل (ألم يحزنك حبال قيس وتغلب قد تباينتا انقطاعا)،فهنا اراد وحبال تغلب فثنى والحبال جمع لانه اراد الشيئين والنوعين.[٢٣]

وقوله تعالى (في ستة ايام)أي في ستة ايام من ايام الدنيا.

قال عكرمة[٢٤]:ان الله بدأ خلق السموات والارض وما بينهما يوم الاحد ثم استوى على العرش يوم الجمعة.

---

[١٩] (ينظر:تفسير القرآن العظيم-لابن كثير ٣٢٤/٣،وجامع البيان عن تأويل آي القرآن-للطبري٢٨/١٩.

[٢٠] (الطلاق:الاية ١٢.

[٢١] (الطلاق:الاية ١٢.

[٢٢] (ينظر:التفسير العلمي للايات الكونية في القرآن –لحنفي احمد-ص١٣٢.

[٢٣] (ينظر:جامع البيان عن تأويل القرآن، -للطبري ٢٨/١٩،والجامع لاحكام القرآن، -لمحمد القرطبي٦٣/١٣.

[٢٤] (هو ابو عبد الله عكرمة القريشي،المدني ،البربري الاصل،مولى ابن عباس (رضي الله عنهما) تابعي ،حافظ،مفسر،توفي بالمدينة سنة (١٠٤هـ)ينظر:حلية الاولياء وطبقات الاصفياء،للحافظ ابي نعيم احمد بن عبد الله الاضبهاني ٣٢٦/٣-ط١-مطبعة دار الكتب العلمية-بيروت-١٩٨٨م،وطبقات المفسرين-للحافظ شمس الدين محمد علي الداووي ٢٨٠/١.

وقال مجاهد : (بدء الخلق يوم الاحد يوم الاثنين يوم الثلاثاء والاربعاء والخميس وجميع الخلق في يوم الجمعة).[٢٥]

فهذان القولان يوضحان ان الباري عز وجل خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام من ايام الدنيا،ابتدئها من يوم الاحد واختتمها من يوم الجمعة،والله سبحانه وتعالى بقدرته التي خرقت كل شيء باستطاعته تعالى خلق السموات والارض وما بينهما في رمشة بصر،ولكن حكمة الباري عز وجل تعليم عباده الرفق والتثبت والتروي والتؤدة.[٢٦]

فهذه الاية الكريمة الكونية اواي اية كونية في القرآن الكريم هي طريقا للاستدلال على وجود الخالق العظيم ووحدانيته ،لا سيما اذا كانت الاية الكريمة تشير الى الظاهرة الكونية في الاخبار عن خلق السموات والارض، والكشف عن تلك الاسرار العظيمة، والتي تدل دلالة قاطعة في حقيقة وجود الله تعالى.

كما يقول الزنداني: "الادلة على وجود الله تعالى لا تحصى ، وعددها كعدد محلوقات الله تعالى فكل مخلوق يحمل ادلة تدلنا على خالقه وتعرفنا بموجده العليم."[٢٧]

وقد تجلت آية الخلق والابداع في اضخم مجالي الوجود، وهما خلق السموات والارض، فهي اعظم دليل على اثبات وجود الله ووحدانيته وقدرته وحكمته ،فما اخبر به القرآن الكريم عن خلق السموات والارض وما فيها من حكم واسرار دليلا على وجود الله سبحانه وتعالى ،وقد اهتم علماء التفسير بربط الايات القرآنية التي تصف الكون بمسألة وجود الله تعالى [٢٨]، لما لها من عظمة خلقها وتركيبها المنتظم.

ففي خلق السموات وابداع صنعها،وما هي عليه من سعة وعظم خلق وحسن بناء ، تتجلى لنا آيات الله الدالة على وجوده ووحدانيته ،قال تعالى (سنريهم آياتنا في الافاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق).[٢٩]

---

[٢٥] (الدر المنثور في التفسير بالمأثور-لجلال الدين السيوطي٣/٤٧٢.

[٢٦] (ينظر: تفسير القرآن العظيم-لابن كثير٣/٣٢٤،والتفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج-لوهبة الزحيلي١٩/١٠٧.

[٢٧] (توحيد الخالق: لعبد المجيد الزنداني،ص٢٧.

[٢٨] (ينظر: مفاتيح الغيب للامام فخر الدين محمد الرازي ٤/٦-٧ط١ مطبعة الخيرات بمصر١٣٠٨هـ والبراهين العلمية على وجود الخالق —للرازي،ص٦-٨.

[٢٩] (فصلت: الاية ٥٣.

فهذه الاية الكريمة دعوة من الخالق العظيم الى جميع البشر لفتح الادراك البشري، فالله تعالى يدعو الى الخلق كافة الى العيش في ادراك هذا الكون وانظمته والنظر والتدبر في الافاق، لاننا كلما علمنا باسرار الكون ازددنا ايمانا لعظمة خلقه ،فان ادراكنا لمثل هذه البراهين وتناولنا التفصيلات وتفسيرها ،انما يتمثل في ان نجد ان لهذه البراهين دليلا تجريبيا علميا على حقيقة وجود الله سبحانه وتعالى ووحدانيته.[٣٠]فالقرآن الكريم يبين لنا عن الخلق والابداع عن الايات الدالة على وجود الله تعالى (وان شاء الله تعالى سأتحدث عن بعض الاعجاز في هذا المجال في موضع اخر).

اما الارض وما فيها هي من الادلة العظمى على وجود الخالق جل وعلى ووحدانيته ،والله سبحانه وتعالى يستدل بالكون المحسوس على وجوده ووحدانيته في تلك الايات الكونية التي تلفت نظر الانسان الى التفكير في خلق الارض وما فيها، والاض اقرب الى الانسان،لذلك نرى دعوة الله تعالى الخلق الى النظر والتفكير في خلقها وفيما اودعه من آيات وما بث فيها من خيرات.[٣١]

وقد تحدث القرآن الكريم عن خلق الارض وما فيها من الادلة العلمية الدالة على الخالق عز وجل ،كقوله تعالى (وفي الارض آيات للموقنين* وفي انفسكم افلا تبصرون).[٣٢]

فالله سبحانه وتعالى يخاطب العقل البشري عن الارض وما فيها من دواب ونبات باختلافهما وغيرهما، وهو تعبير بشيء من حياة البشر على هذه الارض، لكي يتأمل هذه العجائب ويقر انها من تدبير صانع حكيم مقتدر عليم.

اما العلم الحديث فقد اكد ان الارض هي ذلك الجزء الرقيق منها الذي مهده وفرشه الخالق الاعظم ليكون صالحا للحياة (فهي بيئة ثابتة لحياة كثيرة من الكائنات الارضية، فالتربة تحتوي العناصر التي يمتصها النبات ويمثلها ويحولها الى انواع مختلفة من الطعام... وعلى ذلك فان الارض مهيئة على احسن صورة للحياة ، ولا شك ان كل هذا من تيسير حكيم خبير وليس من المعقول ان يكون مجرد مصادفة او خبط عشواء).[٣٣]

---

[٣٠] (ينظر: اثبات وجود الله ووحدانيته-لمحمد الشعراوي ،ص٣٣-٣٥.

[٣١] (ينظر: مفاتيح الغيب -لفخر الدين الرازي ٣٢٢/١-٣٢٣، وفي ظلال القرآن -لسيد سابق ٥٠/١-٥١.

[٣٢] (الذاريات: الايتان ٢٠-٢١.

[٣٣] (الله يتجلى في عصر العلم-ترجمة الدكتور الدمرشاوي عبد المجيد سرحان،ص١٥-ط٣-١٩٦٨م (نسخة مصورة)

وعلى هذا نلمس اتفاق العلم مع الايات القرآنية ،بين حقائق القرآن ونتائج العلم الحديث، وهذه الحقائق العظيمة ما وردها الخالق الاعظم في القرآن الا ليدل الناس على وجوده ووحدانيته.

وهكذا تتجلى لنا آيات الله الدالة على وجوده وقدرته وحكمته، في خلق السموات والارض وما بينهما وابداع صنعها، كما بين انه الخالق لجميع مخلوقاته، وهو الرازق لهم، وهذه من الادلة القوية العلمية على وجوده ووحدانيته وكمال قدرته، وعلمه وحكمته وحسن لطفه، وهي عناية بهذا العالم ورعايته الشاملة لكل افراده، فالناظر بعين البصيرة في هذا العالم كله:- يجد فيه العناية التامة به، وان السموات والارض ومحتوياتها ما خلقت الا بالحق وبه حفظت،لقوله تعالى (ما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق).[٣٤]

خامسا:-استواء الرحمن على العرش

في قوله تعالى (ثم استوى على العرش الرحمن فسئل به خبيرا)

وفي هذه الاية الكريمة تبرز صفة من صفات الله العظمى ،التي تليق بجلاله وكماله وعظمته، الا وهي صفة (الاستواء) في قوله تعالى (ثم استوى على العرش) ، أي استوى استواء يليق به على العرش الذي هو اعظم من خلق السموات والارض واعظم المخلوقات.

والاستواء :-هو الاستيلاء والقهر من غير معاناة ولا تكلف،فالله سبحانه وتعالى بحكمته وقدرته حكم العالم ودبره بمشيئته.[٣٥]

قال مقاتل[٣٦] والكلبي[٣٧]:في قوله تعالى (ثم استوى على العرش الرحمن) أي يستقر[٣٨].

---

[٣٤] الاحقاف: الاية ٣.

[٣٥] ينظر: اصول الدين-للامام ابي منصور عبد القهار بن طاهر التميمي البغدادي،ص١١٢،ط٣-دار الكتب العلمية -بيروت-١٩٨١م.

[٣٦] مقاتل: هو ابو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الازدي بالولاء، الخرساني المروزي صاحب التفسير المشهور (تفسير مجاهد) توفي في البصرة سنة (١٥٠هـ) . ينظر: وفيات الاعيان لابن خلكان ٥/١٢٥٥ ،وشذرات في اخبار من ذهب للمؤرخ الفقيه عبد الحي الحنبلي١/٢٢٧-مطبعة الكتب العلمية ٠بيروت-١٩٨٨م.

[٣٧] الكلبي: هو محمد بن السائب بن بشير بن عمر بن الحارث الكلبي، كان عالما بالتفسير والاخبار وايام العرب، وهو من اهل الكوفة ،حدث عنه ثقات من الناس،واملى على البعض من اهل البصرة التفسير .ينظر: كتاب الجرح والتعديل -لعبد الرحمن الرازي ٣/٢٧٠ -دائرة المعارف العثمانية-الهند، والاعلام -للزركلي٧/٣٠.

وقال ابن مسعود[٣٩]: في قوله تعالى (ثم استوى على العرش الرحمن) العرش على الماء والله تعالى فوق العرش وهو يعلم ما انتم عليه.[٤٠]

وقيل: ايضا في قوله تعالى (ثم استوى على العرش الرحمن) أي وصف الله تعالى نفسه تبارك وتعالى ،العرش على الماء،وفوق العرش الجلال والعزة والسلطان والملك والقدرة والعلم والرحمة والنعمة،وهو الفعال لما يريد الواحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد.[٤١]

والاستواء صفة من صفات الله تعالى ،فاذا ما اردنا ان نعطي معناه ،فما علينا الا ان نعرضها على (السلف والخلف):-وكما يلي:-

اولا:-قول اهل السلف:-هم لم يخوضوا في تفسيره، وقالوا : الله اعلم في تفسيره، وان هذا من المتشابه الذي لا يعلمه الا الله تعالى، فلا نخوض في تأويله بآرائنا وباهوائنا، ونفوض علمه الى الله تعالى ،فهو اعلم بما نسبه الى نفسه ،والله تعالى اعلم بما يليق به.[٤٢]

ثانيا:-قول اهل الخلف:-قالوا (استوى على العرش) معناه الاستواء والاستيلاء من غير تكلف، ومنه قول الشاعر:-

قد استوى بشر على العراق

من غير سيف ودم مهراق

فاهل الخلف -يؤول الاية الكريمة :الرحمن استولى على العرش وحكم العالم ودبره بمشيئته ،بلا قهر ولا معاناة ولا تكلف.[٤٣]

---

[٣٨] (كتاب حجج القرآن:-لابي الفضل احمد بن محمد بن المظفر بن المختار الرازي ٤٨/١-ط٢-دار الرائد العربي-بيروت-١٩٨٢م،تحقيق: احمد عمر المحمصاني.

[٣٩] (ابن مسعود: هو عقبة بن عمرو بن ثعلبة بن اسير بن عطية الانصاري البدري، صحابي مشهور بكنيته،يعرف بابي مسعود البدري، لانه كان يسكن بدرا، شهد العقبة واحد وما بعدها،توفي سنة (٤٠هـ) ينظر: الطبقات الكبرى -للشيخ محمد بن سعد بن منيع البصري، الزهري ١٢٦/٢-مطبعة دار صادر،بيروت-١٩٥٧م، وكتاب الاستيعاب في معرفة الاصحاب بهامش كتاب الاصابة لابي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد المعروف بابن عبد البر القرطبي ١٠٥/٣-ط١-مطبعة السعادة -دار العلوم الحديثة، مصر ١٣٢٨هـ، وسير اعلام النبلاء-للذهبي ٤٩٣/٢-٤٩٤.

[٤٠] (الصواعق المرسلة على الجهيمة والمعطلة-لمحمد الزرعي ١٤١٧/٤.

[٤١] (ينظر: العظمة -لابي محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان الاصبهاني ٤٦٩/٢-ط١-دار العاصمة-الرياض-١٤٠٨هـ. تحقيق: رضاء الله بن محمد ادريس المباركفوري.

[٤٢] (ينظر: شرح الطحاوية في العقيدة السلفية-للعلامة علي بن علي بن محمد بن ابي العز-ص٤٥-ط١-دار الفكر-بيروت.

[٤٣] (ينظر: مناهل العرفان في علوم القرآن -لمحمد الزرقاني ٢٩٠/٢.

قال الاشعري:-[٤٤](ان الله تعالى فعل فعلا في العرش، سماه الاستواء ، كما فعل في غيره فعلا سماه رزقا ونعمة).[٤٥]

فمما تبين ان القول الاول (وهم السلف) هو الارجح -لان الله تعالى اعلم في تفسيره،وهو اعلم بما نسبه ،الى نفسه ،والله اعلم بما يليق به ،كما في قوله تعالى (وما يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر الا اولوا الالباب).[٤٦]

وكما اصل معناه معلوم لنا كما قال الامام مالك (رضي الله عنه) لما سئل عن قوله تعالى (ثم استوى على العرش) كيف استوى ، قال: (الاستواء معلوم والكيف مجهول ولاايمان به واجب والسؤال عنه بدعة).[٤٧]

وقال الرازي وفي تفسير قوله تعالى (ثم استوى على العرش) الاستقرار غير جائز،لانه يقتضي التغيير الذي هو دليل الحدوث، ويقتضي التركيب والبعضية، وكل ذلك على الله محال، بل المراد: ثم خلق العرش ورفعه على السموات ،وهو مستول،كقوله تعالى (ولبلونكم حتى نعلم) [٤٨]، فان المراد حتى يجاهد المجاهدون ونحن بهم عالمون. وليس خلق العرش بعد خلق السموات، لقوله تعالى (وكان عرشه على الماء)[٤٩]، وكلمة (ثم) ما دخلت على خلق العرش،بل على رفعه على السموات.[٥٠]

---

[٤٤] (الاشعري:- هو علي بن ابي بشر اسحق بن سالم الاشعري البصري، ولد سنة (٢٦٠هـ) وتوفي سنة (٣٢٤هـ) وهو صاحب الاصول والقائم بنصرة مذهب السنة ،واليه تنسب الطائفة الاشعرية،ومن تصانيفه (اختلاف الناس في الاسماء والاحكام والخاص والعام) و (ادب الجدل) ينظر: وفيات الاعيان وانباء الزمان-لشمس الدين بن خلكان ٢٨٤/٣.

[٤٥] (تفسير آيات الصفات بين المثبتة والمؤولة-للدكتور .محسن عبد الحميد،ص٣٨. (بدون طبعة).

[٤٦] (آل عمران: الاية: ٧.

[٤٧] (شرح العقيدة الطحاوية: لاحمد الطحاوي ١٢٨/١.

[٤٨] (محمد الاية: ٣١.

[٤٩] (هود: الاية ٧.

[٥٠] (التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج-الدكتور .وهبة الزحيلي ١٠٧/١٩.

وقوله تعالى (الرحمن فسئل به خبيرا) أي ان ذلك الخالق هو العظيم الرحمة بكم، وهو الرحمن ذو الجلال والاكرام، الذي استوى على العرش باسمه الرحمن الذي وسعت رحمته كل شيء،فلا تتكلوا الا عليه.[٥١]

وقوله (فسئل به خبيرا)

الخبر :- ما اتاك من نباء عمن تستخبر.[٥٢]

(فسأل به خبيرا) أي اسأل عنه خبير، أي فسأل عن الله تعالى من هو خبير عارف بجلاله ورحمته.[٥٣]

قال الزجاج[٥٤] : (أن يكون الخبير غير الله،أي فاسأل عنه خبيرا، أي عالما به،أي بصفاته واسمائه).[٥٥]

وقيل: انه لا احد في الدنيا ولا في الاخرة اعلم بالباري عز وجل ولا اخبر به من عبده ورسوله المصطفى محمد (صلى الله عليه وسلم) على الاطلاق.[٥٦]

وقد تبين مما ذكر ان الله سبحانه وتعالى لما امر الرسول محمد ﷺ بأن يتوكل عليه،وصف نفسه بامور ثلاثة هي:-

الاول:-انه حي لا يموت ،وهو قوله تعالى (توكل على الحي الذي لا يموت).

الثاني: انه عالم بجميع المعلومات، وهو قوله تعالى(وكفى به بذنوب عباده خبيرا).

الثالث:-انه قادر على جميع الممكنات،وهو المراد من قوله تعالى (الذي خلق السموات والارض وما بينهما).

---

[٥١] (ينظر: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج. وهبة الزحيلي ١٠٣/١٩ ، وتيسير الكريم الرحمن-لعبد الرحمن السعدي ،ص٨٠٠.

[٥٢] (ينظر: لسان العرب-لابن منظور ٢٢٧/٤.

[٥٣] (ينظر: تفسير القرآن العظيم-لابن كثير ٢٢٤/٣،ومدارك التنزيل وحقائق التأويل-للامام ابي البركات عبد الله النسفي ١٧٤/٣- دار الفكر.

[٥٤] (الزجاج: هو ابراهيم بن السري بن سهل النحوي،كان يخرط الزجاج ثم مال الى النحو فلزم المبرد فاصبح من اكابر اهل العربية وله تصانيف ،توفي (٣١١هـ) ينظر: انباء الرواة ١٥٩/١،ومعجم الادباء ٣٠/١،وبغية الوعاة ،ص١٧٩-١٨٠.

[٥٥] (الجامع لاحكام القرآن: لمحمد القرطبي ٦٣/١٣.

[٥٦] (ينظر: تفسير القرآن العظيم-لابن كثير ٣٢٤/٣،وزاد المسير في علم التفسير-لجمال الدين الجوزي ١٧٤/٣.

وبعد ما ثبت تبين لنا–ان الله تعالى هو الخالق للسموات والارض وما بينهما ولا خالق سواه، وثبت انه القادر على جميع وجوه المنافع ودفع المضار،وثبت ان النعم كلها من جهته ،فحينئذ ثبت قطعيا انه لا يجوز التوكل الا على الله الواحد القهار...

سادسا: امر الرسول ﷺ مشركي مكة بالسجود للرحمن ،وامتناعهم عن السجود

بعد ثبوت الوحدانية والتوكل والفضل من النعم على خالق السموات والارض،قابل مشركي مكة الشكر والتوكل بالكفر والاعتماد على النفس في قوله تعالى (واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن أنسجد لما تأمرنا وزادهم نفورا).

في قوله : (واذا قيل لهم) هو خطاب موجه الى مشركي مكة، نزلت في كفار قريش حين قال لهم النبي محمد ﷺ (اسجدوا للرحمن).[٥٧]

والسجدة لا تصلح الا لمن له العظمة والقدرة، وهو الله الخالق العظيم ذو القدرة على كل شيء.[٥٨]

وقوله تعالى (اسجدوا للرحمن)

الرحمن :–من الرحمة ، أي كثير الرحمة.[٥٩]

عن عبد الله بن عباس (رضي الله عنهما) والرحمن الرحيم،الرقيق لمن احب ان يرحمه والبعيد الشديد على من احب ان يعنف عليه.[٦٠]

وقال الحسن[٦١]: الرحمن :–اسم ممنوع، اسم لا يستطيع الناس ان ينتحلوه تسمى به تبارك وتعالى .[٦٢]فالرحمن لا يصح الا لله تعالى.

---

[٥٧] (ينظر: انوار التنزيل واسرار التأويل–لناصر الدين البيضاوي ٢٢٦/٤،والجامع لاحكام القرآن–لمحمد القرطبي ٣١٨/٩،وروح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني–لشهاب الدين الالوسي ٣٩/١٩.

[٥٨] (ينظر: زاد المسير في علم التفسير–لجمال الدين الجوزي ٩٩/٦،والبرهان في علوم القرآن–لمحمد الزركشي ٥٠٣/٢

[٥٩] (ينظر: المفردات في غريب القرآن–لراغب الاصفهاني–ص١٩١،والمعجم الوسيط–اخراج:–ابراهيم مصطفى واحمد حسن الزيات وحامد عبد القادر ومحمد علي النجار ٣٣٥/١–اشرف على طبعه عبد السلام هارون–دار احياء التراث العربي–بيروت.

[٦٠] (تفسير القرآن العظيم–لابن كثير ٢٢/١.

[٦١] (الحسن : هو ابو سعيد الحسن بن يسار البصري ،ولد في زمن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) سنة (٢١هـ) وتوفي سنة (١١٠هـ) كان من سادات التابعين وكبرائهم،وجمع كل فن من علم وزهد وورع وعبادة، ينظر: وفيات الاعيان وانباء وابناء وزمان–لشمس الدين خلكان ٦٩/٢.

[٦٢] (ينظر: تفسير القرآن العظيم–لابن كثير ٢٢/١،وجامع البيان عن تأويل آي القرآن–للطبري ٢٨/١٩.

فهنا نرى خطاب موجه من الباري عز وجل على لسان نبيه محمد ﷺ الى مشركي اهل مكة (اسجدوا للحمن) فاجاب المشركون من الرحمن؟انكروا معرفتهم للرحمن،وقالوا:-أهو رحمن اليمامة، يعني ان مشركي مكة انكروا معرفتهم الرحمن وقالوا (وما الرحمن) ،وقذفوا القول الى مسيلمة الكذاب، لانه كان يسمى رحمن اليمامة[٦٣]، فانكروا ان يكون الرحمن من اسماء الله تعالى ،وقالوا لا نعرف الا رحمن اليمامة.[٦٤]

وردا على ما نكروا ، قال عطاء[٦٥]:حين خاطب الباري عز وجل على لسان رسوله محمد ﷺ مشركي قريش ان اسجدوا للرحمن ،قالوا: ما نعرف من هو، الا رحمن اليمامة،فانزل الله تعالى قوله (وألهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم).[٦٦] [٦٧]

وقال ابن عباس (حين قال لهم النبي ﷺ "اسجدوا للرحمن" قالوا وما الرحمن، فنزلت قل لهم يا محمد الذي انكرتم هو ربي لا اله الا معبود سواه هو واحد بذاته وان اختلفت اسماء صفاته عليه توكلت واعتمدت ووثقت واليه متاب غدا واليوم ايضا عليه توكلت ووثقت رضا بقضائه وتسليما لامره)[٦٨]

وقوله تعالى (أنسجد لما تأمرنا وزادهم نفورا) أي ان الكفار يخاطبون النبي محمد ﷺ انسجد لما تامرنا السجد له، لا نسجد للرحمن الذي تأمرنا بالسجود له، وتباعدوا في طغيانهم وفي قولهم هذا عن ذكر الله تعالى.[٦٩]

فعلى هذا نرى امتناعهم عن دعوة الحبيب محمد ﷺ بالسجود للباري عز وجل وعن ذكر الرحمن ،فزادهم ذلك نفورا عن الدين وبعد عنه، وزادهم ذلك تباعدا من الايمان...

---

[٦٣] (ينظر: الجواهر الحسان في تفسير القرآن-لعبد الرحمن محمد بن مخلوق الثعالبي ١٣٩/٣-مؤسسة الاعلام للمطبوعات –بيروت.

[٦٤] (ينظر: زاد المسير في علم التفسير-لجمال الدين الجوزي ٩٩/٦، والبحر المحيط-لابي حيان الاندلسي ٥٠٩/٦.

[٦٥] (عطاء:: هو عطاء بن ابي رباح،ثقة فقيه فاضل (من الطبقة الثالثة) ، روى عن العبادلة الاربعة وغيرهم، توفي بمكة سنة (١١٤هـ) على المشهور. ينظر: تقريب التهذيب-لشهاب الدين العسقلاني ٣٣١ رقم (٤٥٩١) ، ومشاهد علماء الامصار-لابي حاتم محمد بن حبان بن احمد-ص٨١-دار الكتب العلمية –بيروت-١٩٥٩م.

[٦٦] (البقرة: الاية ١٦٣.

[٦٧] (ينظر: تفسير القرآن العظيم-لابن كثير ٣٢٤/٣، والتفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج د. وهبة الزحيلي ١٠٤/١٩.

[٦٨] (الجامع لاحكام القرآن –لمحمد القرطبي ٣١٨/٩.

[٦٩] (ينظر: زاد المسير في علم التفسير-لجمال الدين الجوزي ٩٩/٦، والتفسير الوسيط للقرآن الكريم-د. محمد طنطاوي ،ص٨٠٩.

سابعا: عظمة الخالق في خلق السماوات

في قوله تعالى (تبارك الذي جعل في السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا)

قوله (تبارك) أي تعاظم وكملت اوصافه ، وكثرت خيراته واحسانه، وتفرده بالوحدانية من كل وجه، وقد تقدم ذكره في بداية السورة.

و (البروج) ، البروج:هي القصور، وهو يطلق ايضا على الحصن، وايضا تطلق على النجوم التي في السماء ،وعلى الكواكب السيارة.[٧٠]

وللمفسرين في (البروج) اقوال ، منها كما ذكرها الامام الماوردي[٧١]، هي اربعة اوجه:-

اولا:-انها النجوم العظام.

ثانيا:-انها قصور في السماء ،فيها حرس.

ثالثا:-انها مواضع الكواكب.

رابعا:-انها منازل الشمس. [٧٢]

والذي يبدو فيما ذكر ان البروج هي مواضع الكواكب السيارة ،التسعة،وهي حسب قربها من الشمس: (عطارد-الزهرة-الارض-المريخ-المشتري-زحل-اورانوس-نبتون-بلوتو).

وقد اثبت العلم ان هذه الكواكب السيارة في المجموعة الشمسية تجري وفق نظام معين لا تعداه،قال تعالى (وكل في فلك يسبحون).[٧٣]أي يدورون في فلك السماء.

والفلك:معناه كل شيء مستدير الصورة ،وجمعه افلاك.

والافلاك السماوية:-هي اجسام تسبح فيها الكواكب في اتجاهات دائرية.[٧٤]

قال ابن عباس (رضي الله عنهما) يدورون في فلك السماء،في فلكه كفلة المغزل.

---

[٧٠] (ينظر: المفردات في غريب القرآن –لراغب الاصفهاني،ص٤١، والقاموس المحيط-لمجد الدين الفيروز آبادي ١٥٨/١.

[٧١] (الماوردي: هو علي بن محمد بن حبيب القاضي الماوردي البصري الشافعي، تفقه على ابي القاسم الصيوي، وابي حامد الاسفراني ،ولد سنة (٣٦٤هـ) وتوفي سنة (٤٥٠هـ) ، وكان حافظا للمذاهب،عظيم القدر، فقد ما عند السلطان له مصنفات كثيرة في كل من الفقه ، والتفسير، والاصول ، والادب ،ولي القضاء ببلاد كثيرة، ومن مصنفاته المشهورة (ادب الدنيا والدين) و (الاقناع) في الفقه و (قانون الوزارة) ينظر: طبقات المفسرين.للامام حلال الدين السيوطي-ص٩٠،مراجعة لجنة من العلماء-طبعة دار الكتب العلمية-بيروت.

[٧٢] (النكت والعيون-لامام ابي الحسن علي بن حبيب الماوردي البصري-١٦٣/٣-ط١-مطابع مقهوي-الكويت-١٩٨٢م-تحقيق:خضر محمد خضر.

[٧٣] (يس:الاية ٤٠.

[٧٤] (ينظر: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج-د.وهبة الزحيلي ١٠٤/١٩-١٠٥.

وقال مجاهد: الفلك كحديدة الرحى،او كفلكة المغزل لا يدور المغزل الا بها ولا تدور الا به.[٧٥]

ويقول العلم:-ان الكواكب السيارة تسبح بسرعات مختلفة حول الشمس ، أي ان بعض الكواكب تسبق بعضها بعضا اثناء الجري في الافلاك التي يسلكها كل كوكب خلال دورانه حول الشمس لانه الكواكب مختلفة الاحجام فيما بينها،وكلما صغر حجم الكوكب كثرت سرعة دورانه حول الشمس،وعلى سبيل المثال: كوكب الارض،وهو الكوكب الثالث في المجموعة الشمسية بعدا عن الشمس،فيبلغ زمن دورانه حول الشمس في ¼ ٣٦٥ يوما ،اما الكوكب عطارد وهو الكوكب الاول في المجموعة الشمسية بعدا عن الشمس،وهذا الكوكب اصغر بكثير عن كوكبنا الارض،ويبلغ دورانه حول الشمس في ٨٨ يوما من ايام الارض،وهذا ما اثبت العلم الحديث.[٧٦]

وان هذه الكواكب السيارة لها حالة مذهلة في سيرانها حول الشمس،حيث اثبت علماء الفلك ان الكواكب السيارة تدور حول الشمس بافلاك بيضوية بتوازن وحكم متناهي غير مختل،وهذه الكواكب التسع بقدرة عظيمة متماسكة حول الشمس ،وهذه القوة الرابطة هي قوى جذب كما يقول العلم الحديث،والذي اكتشفه العلامة-نيوتن-في اواخر القرن السابع عشر،وهذه الجاذبية التي تجذب الكواكب بعضها الى بعض برابط عجيب يدركه الفلكيون ولا يدركون سره، فسبحان من خلق هذا القانون الالهي من قوة التجاذب بين الكواكب والاجرام،ولولا هذه القدرة الربانية لمشت كل الكواكب والاجرام في سبيلها في خط مستقيم،فقوة الجاذبية بين الشمس والكواكب السيارة هي التي جعلت الشمس تمسك بالكواكب التسع ،كلها في مداره،قال تعالى (ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا)[٧٧].

وقوله تعالى (أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج).[٧٨]
[٧٩]

---

[٧٥] (تفسير القرآن العظيم:لابن كثير :٥٩٨/٣.

[٧٦] (ينظر: المنهج الايماني للدراسات الكونية في القرآن الكريم-الدكتور عبد العليم عبد الرحمن خضر-ص٩٧-٩٨،ط٣-الدار السعودية للنشر والتوزيع-جدة -١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.

[٧٧] (فاطر: الاية ٤١.

[٧٨] (ق: الاية ٦.

فالله سبحانه وتعالى بقدرته وعظمته جعل بناء السماء متماسكا كنظام البناء، وسوى اجرامها على هذه الصفة المشاهدة وامسكها بسنة الجاذبية فلا يصطدم بعضها ببعض، وان جميع ما في الكون يشهد على وجود خالق عظيم مبدع لما لها من دلالة على القدرة وعظمة الخلق،فسبحان الله خالق السموات والارض. وقوله تعالى (وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا).

قوله تعالى (وجعل فيها سراجا) أي جعل في السماء سراجا وهي الشمس المنيرة التي هي كالسراج في الوجود ،كما في قوله تعالى (وجعلنا سراجا وهاجا).[٨٠]

والسراج:معناه الزاهر بفتيلة ودهن، ويعبر به عن كل مضيء.فيقال: اسرجت السراج وسرجت كذا، أي جعلته في الحسن كالسراج.[٨١]

والشمس :جسم ناري ملتهب في كبد السماء، ويشع الضوء والحرارة والطاقة.[٨٢]

ويقول العلم:-في الشمس ظاهرة تسمى المتوهجات.. والمتوهجة هي منطقة محلية بالجزء الاسفل من جو الشمس،ترتفع حرارتها.. والتعليل المرجح لهذا الارتفاع في الحراة هو ان ثمة مجالات مغناطيسية تنتج جسيمات سريعة الحركة تصطدم بمادة جو الشمس العادية فتحيل هذه المنطقة من الشمس الى متوهجات شمسية.[٨٣]وما اروع اعجاز القرآن الكريم حين يعبر عن هذه الظاهرة المشروحة في مجلدات بكلمتين اثنين (سراجا وهاجا) فسبحان الله اعظم الخالقين....

وضوء الشمس ضوء ذاتي صادر عن جسم ناري ملتهب،بفعل الحرارة النارية المتوقدة في هذا الجسد، ومن هنا كان الضوء مشتملا على حرارة دائما، فلا ضوء الا عن حرارة متوقدة، ولا حرارة الا ومعها ضوء.

---

[٧٩] (ينظر: التفسير العلمي للايات الكونية-لحنفي محمد-ص٢٤٣-٢٤٦،والاسلام في عصر العلم-لمحمد احمد الغمراوي-ص٣١٨-٣١٩،ط١ -مطبعة السعادة-١٣٩٣هـ-١٩٧٣م،والطبيعات والاعجاز العلمي في القرآن الكريم-للدكتور .عبد العليم عبد الرحمن خضر-٢٢٨-٢٢٩،ط١-دار السعودية للنشر والتوزيع-١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.

[٨٠] (النبأ: الاية ١٣.

[٨١] (المفردات في غريب القرآن-لبراغب الاصفهاني-ص١١٩.

[٨٢] (المنهج الايماني للدراسات الكونية في القرآن الكريم-د. عبد العليم عبد الرحمن ،ص١٠.

[٨٣] (المصدر نفسه،ص١٤-١٥.

يقول السيد قطب رحمه الله (وفي السراج توقد حرارة وضوء، وهو ما يتوافر في الشمس فاختيار كلمة السراج دقيق كل الدقة ومختار).[٨٤]

وان الحياة على الارض تتوقف على حرارة الشمس، وانها لحكمة الخالق العظيم التي وضعت كل من الشمس والارض على مسافة معينة تقدر بحوالي ٩٣ مليون ميل.. وهذا هو القدر الامثل الذي يتلائم مع قانون الحياة على الارض بدقة مطلقة...

وكل نار توقد على الارض،وكل مادة تأكلها الكائنات الحية مصدر طاقتها الشمس التي يختزنها النبات كيمياويا... ثم يصبح النبات غذاء ووقودا للحيوان.. كما ان ضرورة الشمس للحياة بالنهار شيء لا يحتاج الى توضيح.[٨٥]

وقوله (وقمرا منيرا)

القمر: هو قمر السماء،وسمي بذلك لانه يقمر ضوء الكواكب ويفوز به.[٨٦]

ونور القمر غير ذاتي،لانه صادر عن جسم بارد معتم،وقع عليه ضوء الشمس،فانعكس منه على الارض ،وهذا النور –نورالقمر–لا يحمل شيئا من حرارة الضوء.

وهذا يثبت ان القمر يعكس الضوء كالمرايا،وذلك لان الضوء الذي يأتيه هو مكتسب من الشمس،وعلى هذا يوضح العلماء–ان القمر صخريا وليس نارا ملتهبة مثل الشمس،ويبني على ذلك ان القمر ليس مصدرا للضوء مثل الشمس وانما هو عاكس فقط له.[٨٧]

وقد اكتشف العلم الحديث–ان القمر يدور حول الارض،وهذا ما كشفه القرآن الكريم عن حركة القمر ودورانه حول الارض قبل اربعة عشر قرن،في قوله تعالى (وكل في فلك يسبحون)[٨٨]، ومدة دوران القمر حول الارض ٢٩.½ يوم من ايام الارض ،ويعتبر القمر من اقرب الكواكب الى الارض ،وتبلغ بين الارض والقمر حوالي ٢٤٠.٠٠٠ميل.

وان لدوران القمر حول الارض قوة جذب عظيمه، حيث اثبت علماء الفلك ان الارض تجذب بقوتها الجاذبية القمر لدوران حوله،فلا يخرج القمر من مدار الارض.

---

[٨٤] (في ظلال القرآن –لسيد قطب،ص٣٨٠٦.

[٨٥] (المنهج الايماني للدراسات الكونية في القرآن الكريم–د. عبد العليم عبد الرحمن ،ص١٥.

[٨٦] (المفردات في غريب القرآن–لراغب الاصفهاني،ص٤١٢.

[٨٧] (ينظر: المنهج الايماني للدراسات الكونية في القرآن الكريم–د.عبد العليم عبد الرحمن،ص١٥٣–١٥٤.

[٨٨] (يس: الاية ٤٠.

وان لهذا الدوران المنتظم للقمر حول الارض اهمية، وهذه الاهمية لمعرفة الاوقات والشهور والمواعيد وتاريخ الشعوب، حيث ان دوران القمر المنتظم حول الارض جعل البشر من عصور قديمة التوقيت على وجوه القمر، وهذا ما كشفه القرآن الكريم عن اهمية ضوء القمر وظهوره في افق السماء في تنظيم مواعيد الصوم والحج وتسجيل مواعيد سداد الديون ومواليد الاطفال ووفاة الناس، وغير ذلك ، وفي قوله تعالى (يسألونك عن الاهلة قل هي مواقيت للناس والحج).[٨٩]

يقول السيد قطب رحمه الله (انها مواقيت للناس في حلهم،واحرامهم ، وفي صومهم ، وفطورهم ،وفي نكاحهم وطلاقهم وعنهم وفي معاملاتهم وتجارتهم وديونهم،وفي امور دينهم وامور دنياهم على السواء).[٩٠]

فالله سبحانه وتعالى بقدرته العظيمة، سخر القمر للبشر لمعرفة النظام القمري،لضبط الزمن وحسابه وتقدير ايامه وشهوره وسنينه.

وكان العرب من ازمنة سابقة يعتمدون على وجوه القمر لمعرفة اشهرهم وسنينهم،حيث كان العرب تسمي كل ثلاث ليل من الشهر باسم، ولكل شهرا اسم خاصة به،للتعرف على المواقيت الخاصة بهم ومواعيدهم.[٩١]

فالله سبحانه وتعالى قدر للقمر منازل يسير فيها ،فتراه يبدو صغيرا دقيقا، ثم يكبر فيصير هلالا فبدرا ثم يعود فيصغر شيئا فشيئا حتى يصير كالعرجون في الرقة والانحناء والصغر،لقوله تعالى (والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم).[٩٢]

يقول الدكتور عبد العليم عبد الرحمن: (ان الله قدر للقمر منازل ،يطلع في اول ليلة من الشهر ضئيلا قليل النور،ثم يزداد نورا في الليلة الثانية ويرتفع منزله،ثم كلما ارتفع ازداد ضياء –وان كان مقتبسا من الشمس–حتى يتكامل نوره في الليلة الرابعة عشرة ثم يشرع في النقص الى اخر الشهر، حتى يصير كالعرجون القديم).[٩٣]

---

[٨٩] (البقرة: الاية ١٨٩.

[٩٠] (المنهج الايماني للدراسات الكونية في القرآن الكريم–للدكتور عبد المنعم عبد الرحمن،ص١٤٨.

[٩١] (ينظر: تفسير القرآن العظيم–لابن كثير٣/٥٩٦–٥٩٧، والمنهج الايماني للدراسات الكونية في القرآن الكريم للدكتور .عبد العليم عبد الرحمن ،ص١٤٧–١٤٨.

[٩٢] (يس: الاية ٢٩.

[٩٣] (المنهج الايماني للدراسات الكونية في القرآن الكريم–للدكتور عبد العليم عبد الرحمن ،ص١٤٦.

واضافة لما ذكر عن الشمس والقمر الايتان الكبرى على وجود خالقهما العظيم –جل وعلى –اضاف الاعجاز القرآني –ان لكلا الشمس والقمر مدار خاص به على حِدة ،فلا يقصر احدهما على الاخر ، كما في قوله تعالى (لا الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون).[٩٤]

قال مجاهد: (لكل منهما حد لا يعدوه ولا يقصر دونه، اذا جاء سلطان هذا ذهب هذا، واذا ذهب سلطان هذا جاء سلطان هذا).[٩٥]

فهذه الحقائق العلمية التي نطق بها الرسول محمد (صلى الله عيله وسلم) بكل امانة على لسان جبريل الامين (عليه السلام) قبل اربعة عشر قرن،هي ثورة علمية كبرى لم ندرك طرفا منها الا في القرن العشرين.

(والكون آية الله تعالى الكبرى ،ومعرض من معارض قدرته التي تحير العقول، ومشاهد الكون السماوية والارضية في القرآن الكريم اكثر من ان تحصى، ولا تكاد سورة تخلو من مشهد اوعدة مشاهد تتحدث عن السماء... مشاهد تجذب النظر وتثير الحس وهي تهدف الى ربط الانسان بالكون،وتلمس مظاهرها ،واستقصاء اسرارها لاستجلاء اثار القدرة،ومظاهر الابداع).(٩٦)

وهكذا تتجلى لنا آيات الله تعالى الدالة على وجوده وقدرته وحكمته، في خلقه الاجرام وابداع صنعها، وما هي عليه من سعة وعظم خلق وحسن بناء (تلك الاجرام وكيف تسير وفق ذلك القانون الالهي المحسوب، وهي تساق كأنها مناورة عسكرية منسقة، تعرض امام المخلوقات المشاهدين كانها مشاهد فلم سينمائي، بتقليبها الارض بالليل والنهار، وتجديدها انماط المناظر الحقيقية الخلابة المثيرة للخيال لتلك المناورة الرائعة وابرازها في كل ليلة ،وفي كل سنة، فهذه الربوبية الجليلة الظاهرة،وما تظهر ضمن فعاليتها من حقيقة جلية مركبة من التسخير، والتدبير، والارادة،والتنظيم،والتنظيف،تشهد بعظمتها المهيبة هذه وباحاطتها الكلية

---

[٩٤] (يس: الاية: ٤٠.

[٩٥] (تفسير القرآن العظيم–لابن كثير ٣/٥٩٧.

[٩٦] (المشاهد في القرآن الكريم–للدكتور حامد صادق قينبي،ص٩،ط١–مكتبة المنار–الزرقاء–الاردن–١٩٨٤م.

هذه ،على وجوب ووجود خالق تلك السموات وعلى وحدانيته وتشهد كما هو شاهد بأن وجوده جل وعلا اجل من وجودها بتلك السموات).(٩٧)

[٩٧] (الاية الكبرى: لسعيد النورسي،ص٣٦-٣٧،ط١-مطبعة العاني-بغداد-١٤٠٣هـ-١٩٨٣م،ترجمة احسان قاسم الصالحي.